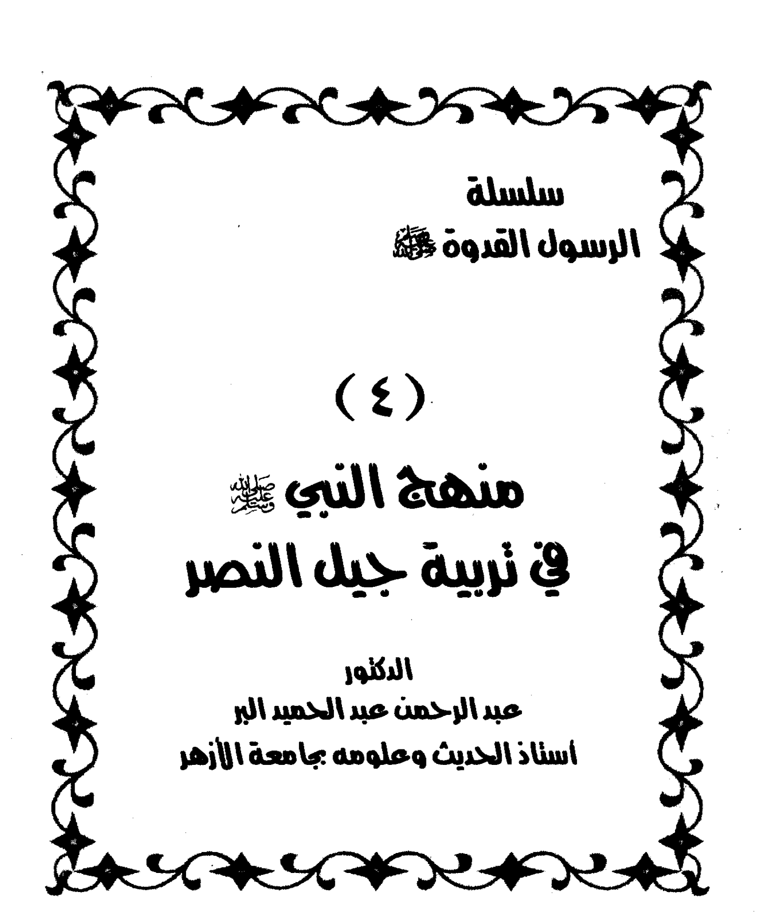


سلسلة
الرسول القدوة ﷺ

(٤)

منهج النبي ﷺ في تربية جيل النصر

الدكتور
عبد الرحمن عبد الحميد البر
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

منهج النبي (ص) في تربيه جيل النصر
د / عبد الرحمن عبد الحميد البر
شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٠٠٧/١٢/٣
رقم الإيداع ٢٥٥١٥ /٢٠٠٧
الترقيم الدولي 9 -05 -6252 -977 -978

الأسس الأربعة لمنهج النبي ﷺ في تربية جيل النصر

الحمد لله رب العالمين، اللهم ربنا لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، سبحانك ربنا، لا نُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك، نعوذ بك ربَّنا من مقام الكافرين وإعراض الغافلين، ونعوذ بك ربنا من دَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وعضال الداء، وشماتة الأعداء.. ونسألك اللهم أن ترزقنا من العلم أنفعه وأصلحه، ومن الأجر أعظمه وأطيبه.

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد ﷺ الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

ها نحن نعيش في ظلال سيرة الحبيب القدوة ﷺ، ذلك الذي جعله الله جل وعلا نوراً، فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، ذلك الذي كشف الله به الظلمات، ومحا به الشبهات. هذا الحبيب المصطفى، الذي جعل اللهُ -تبارك وتعالى- حبَّه سبيلاً للجنة والوصول إليها، ولن يفتح باب الجنة لأحدٍ قبله، ولأمته من خلفه.

يقول ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ

الخَازِنُ: مَنْ أَنتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»(١)، فالأمر المُعطَى لخازن الجنة، ألا يفتح باب الجنة لأحد قبل الحبيب ﷺ، ومن ورائه أمته الكريمة .

نسأل الله أن نكون ممن يقف خلفه يوم يحرك حلق الجنة بيده، ببركة حبنا له ﷺ ، فهو القائل ﷺ : «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ المُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ»(٢)

ومن المبشِّرات التي أخبرنا بها الحبيبُ المصطفى ﷺ : ما رواه ابنُ مسعود ﷺ أنه جاءه ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟»

---

(١) أخرجه مسلم في كِتَاب: الإيمان، باب: فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ ١/ ١٨٨ (١٩٧).

(٢) جزء من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي -وقال : غريب- في كِتَاب: المناقب، باب: فِي فضل النَّبِيِّ ﷺ ٥/ ٤٤٨ (٣٦١٦).

(٣) أخرجه البخاري في كِتَاب الأدب، بَاب بَاب عَلاَمَةِ حُبِّ الله عَزَّ وَجَلَّ ١٠/ ٥٧٧ (٦١٦٩).

قَالَ: حُبَّ الله وَرَسُولِهِ. قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» .

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» .

قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ(١).

أما الذي يحب فرعون وهامان وقارون وأُبَيّ بن خلف فسيُحشَر معهم؛ لأن أهل الجنة يُحشَرون زُمَرا، وأهل النار يُحشرون كذلك زمرا.

وسوف نتناول في هذه الرسالة منهجَه الكريمَ وطريقَتَه الرائعة ﷺ في إعداد وتربية جيل النصر ، هذا الجيل الذي أخرج الله به الدنيا من الظلمات إلى النور ومن الغِوَاية إلى الرُّشد ومن الضلال إلى الهدى ، فكيف أَتَمَّ الله له ذلك ؟

حال الدنيا حين بُعث النبي ﷺ :

جاء الحبيب ﷺ إلى الدنيا وهي ممتلئة فسادا وضلالاً ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ٤ / ٢٠٣٢ (٢٦٣٩).

فجاء برسالة الإصلاح والهدى.

جاء ﷺ والبشر يعبدون الحجر والشجر، ويسجدون من دون الله للشمس والقمر، وهذا من العجب!! فأين كانت عقولهم؟! وأين ذهبت أحلامهم؟! أين كان عقل الذي يصنع إلهاً بيده ثم يعبده، ويترك عبادة الواحد القهار الذي خلقه من طين وسخر له ما في السماوات وما في الأرض؟! ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٩). هذا في جانب العبادة..

وفي الجانب الاجتماعي: انقسم الناس فريقين، سادة وعبيدًا، السادة يملكون كل شيء، والعبيد لا يملكون شيئا، بل يُباعون ويُشتَرَوْن!!

ظالم ومظلوم، ظالم متجبر يملك كل شيء، ومظلوم مقهور محروم، لا يستطيع حتى أن يُطالب بحقه، واستمرأ الظالمُ ظلمَه، واستكان المظلوم لما يقع عليه، وشاع في الناس مقولة عجيبة.. قالوا: نحن عبيد من ملك!! بل كان القادر على الظلم يرى أن قدرته عليه مبعث فخره، أي يتفاخر على الناس أنه قادر على أن يَظلم ولا يُظلم!! قادر على أن يُفسد ولا يناله شرّ!!

ينادي المنادي منهم وهو يفتخر بقبيلته وقدرتها على الظلم، فيقول:

بُغَاةٌ ظَالِمُونَ وَمَا ظُلِمْنَا وَلَكِنَّا سَنَبْدَأ ظَالِمِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَراً وَطِينَا
إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا رَضِيعٌ تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

وأما المظلوم فكان يُتَمَلَّك ولا يَمْلِك، وعاش هذا الحال ساكناً ومستكيناً.

فما رقَّ قلبُ الظالم وما لان ، وما سَمَتْ همةُ المظلوم ليستعيدَ إنسانيَّته ويبحث عن حقه!!

بل كان الظلمُ يبلغ مداه، وكان الظالم إذا لم يجد من يظلمه إلا أخاه ابنَ أمه وأبيه فإنه لا يتردد في ظلمه! حتى ليقول قائلهم مفتخراً بكثرة ركوبهم حُمُرَهم للإغارة والنهب والسلب:

وَكُنَّ إذا أَغَــرْنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا
أَغَرْنَ مِنَ الضِّبَابِ عَلَى حَلَالٍ وَضَبَّةَ ، إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا
وَأَحْيَاناً عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

والمعنى: إنهم لا عتيادهم الإغارة على الآخرين لا يصبرون عنها، حتى إذا أعوزهم الإغارةُ على الأباعد عطفوا على الأقارب فأغاروا عليهم .

وبلغ من سَفَه العقل عند الناس أن الحروب كانت تقوم بين القبائل لأسباب في غاية التفاهة..

فهذه ناقة يملكها رجل من قبيلة ما، نزلت في مرعى رجل آخر من قبيلة أخرى، فقامت معركة بين القبيلتين حصدت معها شباب القبيلتين!!

وكلبة يملكها رجل نزلت عند رجل آخر فضربها؛ فقامت معركة حصدت معها شباب القبيلتين!!

وهكذا.. سَفَهٌ!! ناسٌ يقدمون دماءَهم وشبابَهم وخلاصَتَهم وقوداً لحرب بلا معنى..

كان هناك قطع للطريق، فالقادر على قطع الطريق؛ يقطع الطريق!!

يبيتُ الإنسانُ آمناً في سِرْبِه، وعندما يأتي الصباحُ تكون عصابةٌ قد دخلت وقتلت الرجال وسَبَت النساءَ والأطفال وساقتهم عبيدا!!

فسيدنا صهيب بن سنان الرومي مثلا، لم يكن روميّاً، وإنما كان عربيّاً، فقد أغارت إحدى القبائل على قبيلتهم فأخذوه وهو صغير، فباعوه عبدا، واشتراه جماعة من الروم وهو لا يزال صغيرا،

فكان في لسانه لكنة الروم.. بعد ذلك بيع في مكة واشترى نفسه.. ولذلك أُطلق عليه صهيب الرومي.. بالرغم من أنه ليس روميا.. إنما عادة الظلم التي كانت متأصلة في الناس في ذلك الوقت؛ دفعت قوما إلى أن يأخذوه من أبويه، ويبيعوه عبداً، ويُذهَب به إلى بلاد الروم، فأصبح لسانه مثل لسان الروم، ثم عاد مرة أخرى لما أراد الله له من الكرامة، فيُباع في مكة، ثم يشتري نفسه، ثم يُكرمه الله بالإسلام.. هكذا كانت الحياة قبل الإسلام..

ولم يكن أحدٌ يخطر بباله أن يصلح هذا الفساد، أو أن يقوم ليهز هؤلاء الناسَ ويُعيد إليهم رشدهم!أو يعيدهم إلى رشدهم !

كان يوجد أناس أصحاب أخلاق كريمة، يُقال لهم الحنفاء، وهم أناس جلس خمسة منهم بعضهم إلى بعض، وقالوا: ماهذا؟!! ماذا يفعل قومنا؟!! هل من المعقول أن نعبد أصناماً نصنعها بأيدينا؟! هل من المعقول أن نترك الإنسان يظلم الإنسان؟!! هل هذا هو دينُ إبراهيم الذي ندّعي أننا أبناؤه؟!! قالوا: والله ما هذا بدين!! ولا يصلح هذا أن يكون دينا!!.. تعالوْا نبحث لنا عن دين صحيح.. فمنهم مَنْ عَبَدَ اللهَ على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومنهم من تنصَّر وقرأ كتب أهل الكتاب، ولكن لم يفكر أحد منهم أن يقوم فيقول للناس: ما أنتم فيه ضلال يجب أن تخرجوا منه!!..

ما أنتم فيه فساد يجب أن يُصْلَح!! بل كانوا صالحين فقط في أنفسهم وتركوا الناس في عمايتهم وأهوائهم.

وكان منهم ورقة بن نوفل، وكان من أوائل الذين آمنوا برسول الله ﷺ حين جاءت خديجة إليه برسول الله ﷺ حين أتاه الوحي أول مرة، وَكَانَ وَرَقَةُ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا! لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ[1].

إذن كان هناك ناس مدركون لهذا الخطأ وهذا الضلال، وبحثوا عن طريق الحق، إنما لأنفسهم فقط، من غير أن يسعوا لإنقاذ الآخرين من هذا الضلال.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي في أول الصحيح ١/ (٣).

رسالة الإصلاح التي جاء بها النبي ﷺ :

لما جاء الحبيب ﷺ وأذن الله لهذه الظلمات أن تنكشف ولهذا الفساد أن ينقشع، أنزل الله عليه أعظم رسالة ختم بها الرسالات.. جاء الحبيب ﷺ إلى البشرية فبدأ مشروعًا إصلاحيًا جديدًا أراد أن يُصلح به الناس ويصلح لهم دينهم ودنياهم، آخرتهم وأولاهم .

وكان رسول الله ﷺ دائما يدعو ربه بإصلاح ثلاثة أمور، يقول: «اللهمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي»(١)، وهو بهذا يختصر رسالته، فرسالته جاءت لإصلاح الدين وإصلاح الدنيا وإصلاح الآخرة، ليسعد الناس في دنياهم، ويسعدوا كذلك في آخرتهم، وكان طبيعيا ألا يقبل الفسادُ بنور الإصلاح، فلم نسمع في تاريخ البشرية أن فاسداً رأى مصلحا ثم جلس صامتا ساكتا!! وإنما ينقض انقضاضاً فظاً غليظاً على الصالح وعلى المؤمنين به .

حكى لنا الله تبارك وتعالى عن سيدنا صالح النبي الصالح

---

(١) أخرجه مسلم في كِتَاب الذكر والدعاء ، بَاب: التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ ٤/ ٢٠٨٥ (٢٧٢٠).

الذي أرسله الله إلى ثمود يدعوهم إلى عبادة الله فأرادوا قتله، يقول الله جل وعلا: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل: ٤٨)، والنبي صالح عليه السلام أرسله الله تعالى لكي يُصْلِح به وبرسالته قومَ ثمود، فهل يا ترى جرثومة الفساد ستسمح لدواء الصلاح أن يداويها؟!! لا! ولكنهم تحركوا مباشرة، وقالوا ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾، أي: لِنُقْسِم بالله،﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لنقتلنه على بيات هو وأهلَه!! وذلك بالليل، وعندما يُصبح الصباح، نقوله لوليه: إننا ليس لنا أي دخل في جريمة القتل ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ* وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ٤٩-٥٠) أي إنهم يدبِّرون في الأرض، والله جل وعلا يدبّر في السماء.. ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: ٤٢) هم يحسبون أن المكر والتدبير بأيديهم!! إنما الله تعالى يقول ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ ، وكانت النتيجة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النمل: ٥١).

إذن.. كلما جاء صالحٌ يُصْلح الفساد في الحياة، وقف له أهل الفساد بالمرصاد.. وهكذا مع كل الأنبياء.. ومع كل المصلحين.

فهذا سيدنا موسى عليه السلام الذي جاء برسالة إصلاح،

نجد فرعون يقول: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾.. ويبين السبب ويقول: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).

فالمفسِد يرمي المصلِح بالفساد ليُشَجِّع الناسَ على حربه، وهذا ما فعله المشركون مع رسول الله ﷺ، وفعله كل المفسدين على مدار التاريخ مع كل المصلحين..

في سورة سيدنا إبراهيم اختصار لهذه القضية.. كل الرسل تأتي رافعة علم الهداية بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الكريم الذي يحترم العقل السليم، وفي النهاية، حين لا يجد المُفسدُ مجالا، وحين ينكشف أمره، وحين يرى أن الإصلاح قادم لا محالة؛ وحين يرى أهلُ الغواية أنْ لا لقاءَ بينهم وبين أهل الحق والهداية والصلاح يعلنون حرباً لا هوادةَ فيها على الإصلاح وعلى أهل الإصلاح: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: ١٣)؛ أي قال الكفار لرسلهم: إما أن تكونوا مثلَنا غاوين مفسدين، وإما أن تخرجوا من بلدنا.. وهذا ما حدث مع كثير من الأنبياء، وهو هو ما حدث مع رسول الله ﷺ.. وهو هو ما يحصل مع المصلحين في كل زمان ومكان، حتى يأذن الله لنور الحق أن يبدد ظلمات الفساد والباطل.

المساواة بين الخلق أبرز سمات دعوته الإصلاحية ﷺ :

كانت دعوة رسول الله ﷺ واضحة في المساواة بين الخلق ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات : ١٣) .

كانت دعوته ﷺ قائمة على أساس «أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى »[1]

كانت دعوته ﷺ صريحة واضحة في **أن بلالاً مثلُ أبي جهل، وعمارَ بنَ ياسر مثلُ أبي لهب**، وإن تفاوتت أنسابُهم، ولن يتميزَ أحدُهم إلا بالإيمان والتقوى.

كانت دعوته ﷺ **ترك عبادة الآلهة المتعددة وعبادة الله الواحد القهار..**

كيف واجهت الجاهلية هذه الدعوة الإصلاحية :

لما أعلن ﷺ هذا وجدنا أبا جهل ومن معه قد شعروا أن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٩) بسند صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ .

امتيازاتهم سوف تُسلَب منهم؛ لذلك، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ (ص: ٥-٧).

وبدأ أبو جهل يجمع المشركين حوله لمحاربة رسول الله ﷺ، بحجة أنه ﷺ جاء يُفسد عليهم حياتهم، وجاء ليقطع العلاقة بين الوالد وولده!! وجاء ليشجع العبيد على سادتهم!! وجاء ليساوي بين العامة والسُّوقَة وبين السادة والأشراف!! وهذا لا يُقبَل في نظرهم، ولا بد من محاربة من يدعوهم إلى هذه الأمور العجيبة!.

فبدأوا يواجهون النبي ﷺ بكل وسائل الإغراء والإغواء، فلم يفلح شيء من ذلك.. قالوا لرسول الله ﷺ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا ، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْراً دُونَك، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا[1].

فلما رفض النبي ﷺ هذا الإغراء وأفهمهم أنه صاحب رسالة لا طالب دنيا ، وأنه لا يمكن أن يساوم على رسالته سلكوا طريقة

(١) نقل هذا العرض إليه ﷺ عتبة بن ربيعة. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٩٢.

أخرى.. شكوه إلى عمه أبي طالب، فرغب إليه أن يهادنهم، ولكنه ﷺ قال: «**يَا عَمّ، وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ**»(١)..

وتتابعت وتكاثرت وتعاظمت محاولات الترغيب والترهيب، وثبت النبي ﷺ أمام كل هذه المحاولات، واستطاع بفضل الله في سنوات معدودات، أن يفتح جزيرة العرب بنور الإسلام.

ثم فتح الله تبارك وتعالى أقطار الدنيا على الإسلام فانتشر في أقصى بلاد الصين شرقا، وفي بلاد أوروبا غربا، ومن أقصى بلاد سيبيريا في روسيا شمالا إلى جنوب إفريقيا.. وامتد الإسلام وانتشر بفضل الله تعالى..

والسؤال الذي هو لب هذه الرسالة ومحور هذا اللقاء هو:

كيف فعل النبي ﷺ هذا في ظل هذه الأحوال التي ذكرناها؟!

كيف استطاع الحبيب ﷺ أن يرفع لواء هذا الدين؟!!

كيف استطاع أن يجعل للدين كلَّ هذا الانتشار، بينما هو حين قام بدعوته الكريمة قامت لها قيامة الجاهلية ووقف ضدها سادة

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٦٦.

قـريش وسـادات العـرب، وجمعـوا الجمـوع، وحزَّبـوا الأحـزاب، ووقفوا يحاربون رسـول الله ﷺ بكـل سـبيل، ووقفـوا عـلى أبـواب مكة يحذرون كل من يدخل إليها من رسول الله ﷺ، ويقولون : إنه فرَّق بين الزوجة وزوجها وقطع الأرحام.. ومشى وراءه عمّه أبـو لهب يقول للناس: لا تصدقوه فإنه كذاب، ورسـول الله ﷺ يـدعو الناس إلى الله؛ حتى يقول الناس: إن كـان عمـه يكذبـه فهـل نـؤمن نحن به؟!!

فكيف اسـتطاع الحبيـب ﷺ في كـل هـذه الأجـواء، أن يجعـل لواءَ الإسلام عالياً خفَّاقاً على الدنيا كلها؟!!

أسس أربعة لتربية جيل النصر

يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله: إن الله ربَّى محمـدًا ﷺ على عينه؛ ليربي به العرب، وربَّى العـربَ بمحمـد ﷺ؛ لـيربي بهـم البشرية .

وهـذا مـا حـدث، ربَّـى ﷺحولَـه جماعـةٌ مـن أصـحابه تربيـةً خاصةً؛ فكان الواحد منهم أُمّةً، واستطاعوا بفضـل الله أن يفتحـوا بالإسلام مشارقَ الدنيا ومغاربَها.

أدرك النبي ﷺ بتوفيق الله له أن البداية الحقيقية تكون بتقوية الهمم واستنهاض العزائم لحمل مشروع الإصلاح ، ولا يمكن أن يتأتّى ذلك بغير يقظةٍ روحيةٍ قويةٍ ، تحرك المشاعر الساكنة ، وتحمل النفوس الكليلة العليلة .

استطاع الحبيب ﷺ أن يفعل ذلك حين أيقظ الأرواح بأن غرس في نفوس المؤمنين به أربعةَ أمورٍ أساسية ملأ بها قلوبهم ؛ ففتح اللهُ بهم الدنيا بأَسْرِها..

وهذه الأربعة لو عادت إلى قلوبنا نحن المسلمين الآن؛ لفتح الله علينا وعلى الإسلام أقطارَ الدنيا، ولأصبحنا من جديد سادةَ الدنيا وأصحابَ الكلمة الأولى فيها.. أربعة أمور أساسية أصلح بها النبي ﷺ قلوبَ أصحابِه، فأصلح أصحابُه بها الدنيا كلَّها. فما هي هذه الأسس الأربعة؟!!

الأساس الأول: أنهم على الحق

غرس النبيُّ ﷺ في قلوبهم أن دعوتَهم **هي دعوةُ الحق وما عداها ضلال..**

فلا بد أن نؤمن بهذه القضية.. أن ديننا ورسالتنا -هي وحدها- الحق في هذه الحياة، وكل الدعوات الأخرى زائفة باطلة **﴿فَذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾** (يونس: ٣٢)..

جاءهم النبيُّ ﷺ بهذا الحق وبيّن لهم أن كل الدعواتِ والمللِ الأخرى صارت باطلة؛ لأن أصحابها بدّلوا وحرّفوا، وإن كان قد يكون عندهم بعضُ الحق، ولكنَّ الحقَّ كلَّه ليس موجوداً سوى في الإسلام، أما الحق الذي عندهم فحق مخلوط بباطل.. إنما الحقُّ الصافي هو الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ بلسانٍ عربي مبين؛ ولذلك حين أتاه عمرُ ومعه نسخةٌ من التوراة، ليقرأها عليه ﷺ، جَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، أَمَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ الله وَمِنْ غَضَبِ رَسُولِهِ، رَضِينَا بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى**

فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لاتَّبَعَنِي» (١).

فالحقُّ كلُّ الحق في منهج الإسلام وفي اتباع القرآن، وكل المناهج الأخرى باطلة.. قد يكون فيها شيءٌ ظاهرُه طيبٌ، لكن ستجد هناك جوانب فاسدة!!

لماذا الحق في الإسلام؟

لأنه كلمةُ الله.. ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، هو الذي يعلم ما الذي يُصلح الناس؛ ولذلك شرع لهم ما يعلم أن فيه صلاحهم..

من حكمة الله جلَّ وعلا أنه لا يشرع شيئاً إلا وهو يعلم بأن في هذا الشيء مصالحَ العباد؛ وذلك لأنه حكيم، والحكيم لا يَعْبَث، ولا يقول العَبَث؛ ولهذا قال جل جلاله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾ (طه: ١٢٣) وذلك لأنه هو الحقُّ، الذي لا ضلالَ فيه ولا شقاءَ معه.

والذي يُعْرِضُ عن هذا الحق، يقول المولى في شأنه ﴿وَمَنْ

(١) الحديث عن جابر أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ ١/ ١٢٦ (٣٥)، وأحمد(١٥١٥٦)، وغيرهما، وله شواهد كثيرة تقويه.

أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه: ١٢٤ - ١٢٦).

فالحق في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كانت الأمة تريد السعادة، وإن كان الفرد يريد السعادة، وإن كانت الأسرة تريد السعادة، وإن كان المجتمع يريد السعادة، فالحق كل الحق، والهدى كل الهدى، عند الله عز وجل، ولذلك عندما يأتي منافق من المنافقين بقوانين غير قوانين الله وأحكام غير أحكام الله عز وجل ويطبقها؛ فتضطرب حياته وتتقلب الدنيا على رأسه؛ فإنه يرجع باكيا نادما ويقول: إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا!! ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً* فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾ (النساء: ٦٠-٦٢)، ولا إحسان ولا توفيق إلا فيما جاء به الله.. إلا في الحق ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟.. فليس هناك أرحم منه بعباده؟..فحين يُشَرِّع هذا الرحيمُ لعباده

شيئاً؛ يشرعه لمصلحتهم، فهو أرحم بعباده من الأم بولدها..

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ (يعني أسرى)، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي (في رواية: تَسْعَى)، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ** (يعني أتظنون) **هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(١).

هذا ما يجب أن يفهمه الناس، وهذا ما فهمه الصحابة، علموا أن ما جاءهم به رسول الله ﷺ هو الحق وما عداه ضلال؛ ولهذا لم يقبلوا كلاماً من أحدٍ إلا كلامَ الله ورسوله ﷺ، ولم يقدِّموا على كلام الله ورسوله كلامَ أحد ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ (الحجرات: ١)، أي: أنه طالما هناك قولٌ لله أو لرسول الله ﷺ فيجب تقديمُه على أي كلام آخر.. وامتلأتْ قلوبُ الصحابة إيماناً بالله رب العالمين، ويقيناً بأن ما جاء به رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإكراه، باب: رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ١٠/ ٤٢٦(٥٩٩٩)، ومسلم في كتاب: التوبة، باب: فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ ٤/ ٢١٠٩ (٢٧٥٤).

ﷺ هو الحق.. وكل يوم يزداد اقتناعهم بأن هذا هو الحق..

ولئن يسَّر اللهُ لك قراءةَ القرآن وقراءةَ حديث رسول الله ﷺ ومعرفة الدين؛ فسيزداد إيمانُك يوماً بعد يوم، وستدرك إلى أي مدى جاءَك الله جل وعلا بالخير والسعادة والرضا في هذا الدين العظيم..

هذا هو الأمر الأول الذي غرسه رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه، ولذلك علموا يقينا أن دينهم دين الحق، ولم يعد هناك أي استعداد للمساومة عليه ، أو التراجع عنه ، أو التردد في نصرته والتضحية بالغالي والنفيس من أجله.

وكلنا يعرف ما حدث لأصحاب رسول الله ﷺ، قُتلوا.. وعُذبوا.. وأُوذوا.. إنما الحق الذي ملأ قلوبَهم جعلهم على يقينٍ واستمساكٍ به، ولم يَعُدْ لديهم أيُّ استعدادٍ للتفريط فيه..

وقد بلغ التعذيب للمؤمنين الأولين حداً يفوق الوصف ، حتى اضطر بعضهم لأن يعلن أحيانا -تحت الإكراه- قبوله لما يعرضه الكفار عليه من الباطل، لكن قلبه باق على صدق الإيمان ، فعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: يا أبا عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يُعْذَرون به في ترك دينهم؟ فقال: نعم والله، إن كانوا لَيضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر

الذي به ، حتى إنه لَيُعطيهم ما سألوه من الفتنة(١).

وبقي كثير منهم لا يستجيب للباطل مهما اشتد الضغط ، فتجد بلال بن رباح ﷺ يؤخذ، ويُرمى به في صحراء مكة الحارقة، ويُوضع الصخر على صدره، ويلعب به الصبيان، ويَجُرُّونه بالحبال، وهو يقول: أحد أحد.. لأن القضية واضحة لديه؛ وليس لديه أدنى استعداد للمساومة عليها، أو التفريط فيها.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ (أي وافقهم مُكْرَهاً لاتقاء هذا الأذى الشديد) عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ(٢) .

---

(١) أخرجه **البيهقي** في السنن الكبرى .

(٢) أخرجه ابن ماجه بسند حسن في المقدمة، بَاب فَضْلِ سَلْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمِقْدَادِ ١/ ٥٣

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ عَدَوْا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَبِرَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ ، مَنْ اُسْتُضْعِفُوا مِنْهُمْ يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُفْتَنُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ الَّذِي يُصِيبُهُ وَمِنْهُمْ مِنْ يَصْلُبُ لَهُمْ وَيَعْصِمُهُ اللهُ مِنْهُمْ .

وَكَانَ بَلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ مُوَلَّدًا مِنْ مُوَلَّدِيهِمْ وَهُوَ بَلَالُ بْنُ رَبَاحٍ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ حَمَامَةَ وَكَانَ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعَ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : لَا وَاللهِ ، لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، فَيَقُول وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ[1].

وهكذا فشلت كلُّ الوسائل أن تزحزح كلَّ الصحابة عن الحق؛ لأنهم علموا وآمنوا أنهم على الحق..

---

(١٥٠) ، وأحمد١/ ٤٠٤ (٣٨٣٢)، وصححه ابن حبان (٧٠٨٣) والحاكم٣/ ٢٨٤ ، ووافقه الذهبي .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣١٧، و٣٦١ .

وسأضرب لحضراتكم مثالاً آخر على هذا اليقين بالحق والاستمساك به ، ورفض أية مساومات عليه..

خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ ،وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ! إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ .

فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟

فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ؛ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ.

ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ (يعني ظهر له ألا يقبل بذلك وأن يعلن دينه)

فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَذَّفُ (أي يزدحم) عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ.

وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ؛ فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي؛ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ...الحديث[١]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه ٧/ ٢٣٣-٢٣٥(٣٩٠٥).

وإنما فعل أبو بكر ذلك، وردَّ الجِوار على ابن الدغنة ؛ لأنه أيقن أن ما يحمله هو الحق، ولا يجب أن يخفيه.. وهذا هو الإسلام الحق..

الأمرُ الأول إذن هو أن يعلم المسلم أن دعوة الإسلام هي الحق وأن ما دونها هو الباطل.



- الأساس الثاني: وجوب الاستمساك بهذا الحق

أنهم ما داموا على الحق فيجب أن يعتزوا به ويستمسكوا به ، كما فعل أبو بكر ﷺ فيما سبق ذكره.

فلابد أن تفخر بأنك على الحق، ولا تتوارى؛ لأنك تحمل أسمى رسالة وأعظم دعوة، وهي دعوة جميع الأنبياء، التي فيها صلاح البشرية وخلاصها من الشرور والمظالم المتراكمة ، وإخراجها من الظلمات إلى النور .

فعندما تكون في طريق سار فيه إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، أليس هذا هو الفخر؟!!

عندما يكون أسلافُك في الطريق الذي تسير عليه هم أعظم الخلق.. هم خير خلق الله؛ فلابد أن تعتز بالإسلام.. هذا ما ألقاه النبي ﷺ في قلوب أصحابه؛ فكانوا أعزة بهذا الدين ومعتزين به..

عن طارق بن شهاب ، قال : خرج عمر بن الخطاب ﷺ إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فأتوا على مخاضة (يعني بِرْكة ممتلئة بالمياه) وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا ، تخلع خفيك وتضعهما على

عاتقك ، وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة ؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك ، فقال عمر : «أَوّه! لو يقل ذا غيرُك أبا عبيدة جعلتُه نَكالاً لأمة محمد ﷺ ! إنا كنا أذلَّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلبُ العزةَ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله ».

وفي رواية : لما قدم عمرُ الشامَ لقيه الجنودُ وعليه إزارٌ وخُفَّان وعمامة، وهو آخذٌ برأس بعيره يخوض الماء ، فقال له -يعني قائل- : يا أميرَ المؤمنين تلقاك الجنودُ وبطارقةُ الشام وأنت على حالك هذا ؟ ! فقال عمر : « إنا قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام ، فلن نبتغيَ العزَّةَ بغيره »[١]

فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه الذي فتح الله في عهده بيت المقدس للمسلمين، يخاطب أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه -قائد الجيش الذي فتحها وأرسل إلى عمر ليتسلم مفاتيحها، ويتمنى لو أن أهل البلد رأوا أمير المؤمنين في صورة أفضل- فيقول له هذه المقالة التي تستحق أن تُسَطَّر بماء الذهب، والتي تعبر عن مدى اعتزازه بالإسلام، حقيقةً ومضموناً لا شكلاً ومظهراً .

فلا بُدَّ أن تعتزَّ بإسلامك، وترفع رأسك بأنك تحمل دعوةَ الإسلام؛ لأنك تحمل مشعلَ الهداية..

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٦١ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي .

فحين تحمل رسالة الحق فأنت الطبيبُ الذي يداوي الناس.. وأنت النورُ الذي يهدي الحيران؛ ولذلك لا بد أن تعتز وترفع رأسك.. هكذا فهم المسلمون الأوائل الذين تربوا في مدرسة النبوة الكريمة..

ولذلك كان الصحابي من هؤلاء يدخل على ملوك الدنيا معتزاً بدينه وبالحق الذي يحمله، لا يرى نفسه دونهم ولا يجد في قلبه خشية من مواجهتهم بهذا الحق.

وهاك مثالا من حياة الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة الثقفي ﷺ حين دخل على قادة الفرس في معركة القادسية :

عَنْ أَبِي وَائِلٍ شقيق بن سلمة، قَالَ: شَهِدْتُ الْقَادِسِيَّةَ، فَانْطَلَقَ الْمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ ﷺ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ سَرِيرِ رُسْتُمَ (قائد الفرس) وَثَبَ، فَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَنَخَرُوا، فَقَالَ لَهُمُ الْمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ: مَا الَّذِي تَفْزَعُونَ مِنْ هَذَا؟ أَنَا الآنَ أَقُومُ فَأَرْجِعُ إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، وَيَرْجِعُ صَاحِبُكُمْ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ(في رواية قال : مَا زَادَنِي فِي مَجْلِسِي هَذَا وَلا نَقَصَ صَاحِبَكُمْ).

قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالَ الْمُغِيرَةُ: كُنَّا ضُلالا فَبَعَثَ اللهُ فِينَا نَبِيًّا وَهَدَانَا إِلَى دِينِهِ، وَرَزَقَنَا فِيمَا رَزَقَنَا حَبَّةً تَكُونُ فِي بِلادِكُمْ هَذِا، فَلَمَّا أَكَلْنَا مِنْهَا وَأَطْعَمْنَا أَهْلَنَا، قَالُوا: لا صَبْرَ لَنَا حَتَّى تُنْزِلُونَا هَذِهِ الْبِلادَ، قَالُوا: إِذًا نَقْتُلَكُمْ، قَالَ: إِنْ قَتَلْتُمُونَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، وَإِنْ

قَتَلْنَاكُمْ دَخَلْتُمُ النَّارَ(١).

وقال قُرَّةُ بنُ إِيَاسٍ الْمُزَنِي ﷺ: لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الْقَادِسِيَّةِ بَعَثَ الْمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ ﷺ إِلَى صَاحِبِ فَارِسٍ، فَقَالَ: ابْعَثُوا مَعِي عَشَرَةً، قَالَ: فَشَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَأَخَذَ مَعَهُ جَحْفَةً، ثُمَّ انطَلَقَ حَتَّى أَتَوْهُ، فَقَالَ لِلْقَوْمِ: أَلْقُوا إِلَيَّ بُرْنُسًا. فَجَلَسَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ الْعِلْجُ: إِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الْعَرَبِ قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى الْجِيئَةِ إِلَيْنَا، أَنْتُمْ قَوْمٌ لا تَجِدُونَ فِي بِلادِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ مَا تَشْبَعُونَ مِنْهُ، فَخُذُوا نُعْطِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ حَاجَتَكُمْ، فَإِنَّا قَوْمٌ مَجُوسٌ وَإِنَّا نَكْرَهُ قَتْلَكُمْ، إِنَّكُمْ تُنَجِّسُونَ عَلَيْنَا أَرْضَنَا. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: وَاللهِ مَا ذَاكَ جَاءَ بنا، وَلَكِنَّا كُنَّا قَوْمًا نَعْبُدُ الْحِجَارَةَ وَالأَوْثَانَ، فَإِذَا رَأَيْنَا حَجَرًا أَحْسَنَ مِنْ حَجَرٍ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا غَيْرَهُ، وَلا نَعْرِفُ رَبًّا حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنْ أَنْفُسِنَا فَدَعَانَا إِلَى الإِسْلامِ فَاتَّبَعْنَاهُ، وَأَمَرَنَا بِقِتَالِ عَدُوِّنَا مِمَّنْ تَرَكَ الإِسْلامَ، وَلَمْ نَجِئْ لِلطَّعَامِ، وَلَكِنْ جِئْنَا نَقْتُلُ مُقَاتِلَتَكُمْ وَنَسْبِي ذَرَارِيَّكُمْ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ، فَإِنَّا كُنَّا لَعَمْرِي لا نَجْدُ مِنَ الطَّعَامِ مَا

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ٤٠٦ (٩٧٠)، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٥٦٨(١٥٥٩٤)، والحاكم ٣/ ٤٥١، وسكت عنه. وإسناده صحيح.

نَشْبَعُ بِهِ، وَرُبَّمَا لَمْ نَجِدْ رِيًّا مِنَ الْمَاءِ أَحْيَانًا، فَجِئْنَا إِلَى أَرْضِكُمْ هَذِهِ فَوَجَدْنَا فِيهَا طَعَامًا كَثِيرًا، فَلا وَاللهِ لا نَبْرَحُهَا حَتَّى تَكُونَ لَنَا أَوْ لَكُمْ.

قَالَ الْعِلْجُ بِالْفَارِسِيَّةِ: صَدَقَ، وَأَنْتَ تُفْقَأُ عَيْنُكَ غَدًا بِالْقَادِسِيَّةِ. فَفُقِئَتْ عَيْنُهُ مِنَ الْغَدِ، أَصَابَتْهُ نُشَّابَةٌ(١).

فأنت ترى كيف أن سيدنا المغيرة بن شعبة ﷺ لما دخل على رستم قائد الفرس ليتفاوض معه، كلّم رستم بغاية القوة ، وقرر مراده وحقيقة ما خرج المسلمون لأجله بغاية الوضوح ، وبلغ من عزته أن رد على استهانة رستم وتهديده بما يليق بذلك من الشدة الدالة على عزة المسلم وعزة الإسلام ، وترتب على ذلك أن ألقى الله في قلب رستم الرعب.. ونصر الله عز وجل المسلمين..

فلا بد من الاعتزاز بدين الله ويقول كل منا بفخر واعتزاز: أنا مسلم أومن بالله، وفي يدي لواء الهداية، والنور الذي يهدي..

قارورةُ الدواء التي يحتاجها العالم عند المسلمين، لو أحسنوا تعريف الناس بالإسلام.. ولو أن الدول الإسلامية قدّمت الإسلام كما ينبغي للبشرية؛ لدان الناس جميعا لهذا الدين..

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ٣٦٩ (٨٦١) ، وصححه الحاكم ٣/ ٤٥١ ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ٢١٥ : رجاله رجال الصحيح .

الأساس الثالث: الثقة بنصر الله لهذا الحق

أنهم إذ علموا أنهم على الحق واعتزوا به، يجب أن يثقوا بأن هذا الحق هو المنتصر بإذن الله رب العالمين ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، ﴿كَتَبَ الله لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١)، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤٠-٤١)

الله تبارك وتعالى جعل النصر لهذا الحق ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) هذا وعد من الله، والنبي ﷺ كان على يقين تام أنه منتصر؛ ولذلك ملأ قلوب أصحابه يقينا، ففي أثناء إيذاء قريش للمسلمين جاء إليه سيدنا خباب بن الأرت، وقد اشتد العذاب والإيذاء بأصحاب رسول الله ﷺ والنبي ﷺ عند الكعبة، فقال خباب: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟!،

أَلَا تَدْعُو لَنَا؟!، فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا الله وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». (١)

ويقول ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلاَ يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ -أي لا يترك بيتًا من الطين ولا بيتًا من الشعر إلا دخله الإسلام- إِلاَّ أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ». (٢)

كان رسول الله ﷺ على يقين من نصر الله حتى في أحلك المواقف، وملأ قلوب أصحابه يقينابهذا..

لما اجتمع الأحزاب على رسول الله ﷺ، جمعت قريش واليهود قبائل العرب وجاءوا إلى المدينة ووقفوا حولها، وصار

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإكراه، باب: مَنْ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ عَلَى الْكُفْرِ ١٢/ ٣١١(٦٩٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٩٥٧).

هناك جيش من المشركين على أبواب المدينة، واليهود الذين في المدينة نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، فأصبح هناك جيش آخر من وراء المسلمين، وأصبح المسلمون بين فكي كماشة!! حتى إن الله تعالى يصف حال المسلمين فيقول: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ١٠-١١).

في أثناء هذه الأزمة؛ يعلن النبي ﷺ للجميع أن الله سيمكن لهذا الدين وينصر هذا الحق، حتى يبسط رداءه على العالمين.

فعَنْ رَجُلٍ مَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ وَقَالَ: «**تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**» فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ: «**تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**» فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: «**تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**»

فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ، قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«يَا سَلْمَانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟»** فَقَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **«فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ»** . قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ **«ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ»** . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ **«ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ»**. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: **«دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ»**(١).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا

---

(١) أخرجه **النسائي** في كتاب : الجهاد، باب : غَزْوَةُ التُّرْكِ وَالْحَبَشَةِ.

الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوَضَعَ ثَوْبَهُ، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ» فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**» ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**» ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**»(١).

وهذا أمر في منتهى العجب؛ أن يبشر النبي ﷺ بكل هذا الفتح للدين والنصر للحق في هذه الظروف الشديدة ؛لأن الله تعالى يصور الموقف ويخبرنا أن القلوب قد بلغت الحناجر لدرجة الظن بالله عز وجل، ولدرجة أن الواحد من الصحابة كان يخاف أن يخرج ليقضي حاجته.. فيقول المنافقون: أيَعِدُنا محمدٌ كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته؟!!، وقالوا:

(١) أخرجه أحمد ، والنسائي في الكبرى وقال الهيثمي في المجمع : فيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، واعتذروا لرسول الله ﷺ وقالوا: يا محمد، إن بيوتنا عورة، وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا.. وقد فضحهم الله عز وجل في كتابه فقال عنهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾ (الأحزاب: ١٢-١٣).

أما المؤمنون الذين رباهم رسول الله ﷺ فكانوا واثقين من نصر الله تعالى، ولذلك قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٢٢)، فكانوا على يقين من نصر الله عز وجل؛ ولهذا كشف الله غمتهم وفرج كربتهم ونصرهم على الأحزاب..

ومن هنا لا بد أن تعلم أن النصر في النهاية للإسلام..

الأساس الرابع والأخير: العمل لهذا الدين الحق الغالب

ما دمنا على الحق، وما دمنا معتزين به، وما دمنا واثقين أن الله سينصر هذا الدين؛ فيبقى أمر في غاية الأهمية وهو أن نعمل لهذا الدين؛ لأن النصر لن ينزل من السماء دون عمل المؤمنين وجهادهم لبلوغ هذا النصر.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤٠-٤١)، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

أي: لا بد من العمل لكي يأتي النصر للإسلام، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة ٢٤)

ففي حديث غزوة بدر، عندما أفلتت عير قريش ، وأصر أبو

جهل على خوض المعركة ضد المسلمين استشار رسول الله ﷺ فتكلم أبو بكر وعمر ﷺ وأحسنا، ثُمّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللهُ فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّكَ فَقَاتِلَا إنّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقّ لَوْ سِرْت بِنَا إلَى بِرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِهِ .

ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«**أَشِيرُوا عَلَيّ أَيّهَا النّاس**» وَإِنّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ ، وَذَلِكَ أَنّهُمْ عَدَدُ النّاسِ وَأَنّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ إنّا بُرَآءٌ مِنْ ذِمَامِك حَتّى تَصِلَ إلَى دِيَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إلَيْنَا ، فَأَنْتَ فِي ذِمّتِنَا نَمْنَعُك مِمّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوّفُ أَلّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إلّا مِمّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إلَى عَدُوّ مِنْ بِلَادِهِمْ . فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللهِ لَكَأَنّك تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «**أَجَلْ**» قَالَ: فَقَدْ آمَنّا بِك وَصَدّقْنَاك ، وَشَهِدْنَا أَنّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقّ ، وَأَعْطَيْنَاك عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَك، فَوَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا

الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَك ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيك مِنَّا مَا تَقَرّ بِهِ عَيْنُك ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ . فَسُرّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشّطَهُ ذَلِكَ . ثُمّ قَالَ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنّ اللهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ، وَاَللهِ لَكَأَنّي الْآنَ أَنْظُرُ إلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ**»[1].

إذن.. لو أردنا أن يعجل الله لنا بالنصر، فلابد أن نعمل ونتحرك.. نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونأمر بالمعروف، ونجاهد في سبيل الله، ونصلح.. فيأتي الله عز وجل بالنصر؛ لأن هذا هو السبيل..

ولذلك حين سمع رسول الله ﷺ من سعد بن معاذ هذه المقالة قال: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا...**»

وهكذا كان المسلمون في عمل دائم، فلا سبيل إلى النصر إلا بالعمل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾، فلا بد أن ننصر الله عز وجل، وذلك بطاعته وترك معاصيه.. فنحرص على طاعة الله، ونترك أكل الربا والرشاوى،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥١٦.

وأكل الحرام، ونطبق هذا الدين العظيم في بيوتنا وأهلنا ومع أرحامنا وجيراننا وإخواننا، ولا نظلم ولا نُفسد، ونُري الله من أنفسنا خيرا؛ لكي ينزل نصر الله علينا.

أختم بقول الله رب العالمين: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)

فهيا بنا نعاهد الله سبحانه وتعالى على أن نتوب إليه، وأن نعود إليه، فنرد المظالم ولا نأكل الحرام، ولا نقصر في أداء فرائض الله تعالى..

ومن فضل الله علينا، أنه يمحو الذنوب بمجرد التوبة النصوح والعودة الصادقة إليه جل وعلا..

نسأل الله العظيم أن يجعلنا أهلا لنصره.. اللهم آمين .

مؤلفات الدكتور عبد الرحمن البر

١ ـ المستفاد من مبهمات المتن و الإسناد لأبي زرعة ابن العراقي ـ تحقيق (رسالة الماجستير) ٣ مجلدات ـ طبع دار الوفاء بالمنصورة .

٢ ـ صيد الخاطر لابن الجوزي ـ تحقيق ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

٣ ـ عوامل الهدم و البناء في المجتمع الإسلامي ـ طبع دار نور الإسلام بالمنصورة.

٤ ـ رياض الصائمين ـ طبع دار الوفاء بالمنصورة .

٥ ـ الهجرة النبوية المباركة دراسة تحليلية موثقة ـ طبع دار الكلمة بالمنصورة .

٦ ـ قطوف من الأدب النبوي دراسة موضوعية في السنة المطهرة ـ طبع دار الكلمة بالمنصورة.

٧ ـ مناهج و آداب الصحابة في التحمل و الأداء ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

٨ ـ التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

٩ ـ الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي ـ تحقيق ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

١٠ ـ مختصر التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للقرطبي ـ اختصار الشعراني ـ تحقيق ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

١١ ـ دروس من السيرة النبوية في العهد المدني ـ طبعة خاصة .

١٢ ـ السنة النبوية بين أهل الحديث و أهل الرأي (رسالة الدكتوراه)ـ تحت الطبع .

١٣ ـ شرح مختارات من كتاب تحريم الدم من سنن النسائي ـ طبعة خاصة .

١٤ ـ بذل المجهود في شرح أحاديث الحدود – طبعة خاصة .

١٥ ـ تيسير علوم الحديث ج ١ – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات – القاهرة.

١٦ ـ الحديث المنكر – تحت الطبع .
١٧ ـ وقفات تربوية مع الصائمين – طبع دار اليقين بالمنصورة .
١٨ ـ الأضحية : فضلها وأحكامها وآدابها – طبعة خاصة .
١٩ ـ الجهاد في سبيل الله طريق النصر – طبعة خاصة .
٢٠ ـ الإصلاح المنشود – طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢١ ـ شرح المنتقى من أحاديث الأحكام (الجزء الأول : العبادات)–تحت الطبع.
٢٢ ـ شرح مختارات من كتاب الجهاد من صحيح البخاري -- طبعة خاصة .
٢٣ ـ التذكرة في حكم الموعظة والدعاء على المقبرة -- طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات – القاهرة.
٢٤ ـ السمات العشر للرسول القائد القدوة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني.
٢٥ ـ السمات العشر للرسول المعلم القدوة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٦ ـ منهج الرسول القدوة في تربية جيل النصر – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٧ ـ دفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه _ طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات .
٢٨ ـ لماذا الرسول قدوتنا _ طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات.

مؤلفات الدكتور عبد الرحمن البر

١ ـ المستفاد من مبهمات المتن و الإسناد لأبي زرعة ابن العراقي ـ تحقيق (رسالة الماجستير) ٣ مجلدات ـ طبع دار الوفاء بالمنصورة .

٢ ـ صيد الخاطر لابن الجوزي ـ تحقيق ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

٣ ـ عوامل الهدم و البناء في المجتمع الإسلامي ـ طبع دار نور الإسلام بالمنصورة.

٤ ـ رياض الصائمين ـ طبع دار الوفاء بالمنصورة .

٥ ـ الهجرة النبوية المباركة دراسة تحليلية موثقة ـ طبع دار الكلمة بالمنصورة .

٦ ـ قطوف من الأدب النبوي دراسة موضوعية في السنة المطهرة ـ طبع دار الكلمة بالمنصورة.

٧ ـ مناهج و آداب الصحابة في التحمل و الأداء ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

٨ ـ التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

٩ ـ الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي ـ تحقيق ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

١٠ ـ مختصر التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للقرطبي ـ اختصار الشعراني ـ تحقيق ـ طبع دار اليقين بالمنصورة .

١١ ـ دروس من السيرة النبوية في العهد المدني ـ طبعة خاصة .

١٢ ـ السنة النبوية بين أهل الحديث و أهل الرأي (رسالة الدكتوراه)ـ تحت الطبع .

١٣ ـ شرح مختارات من كتاب تحريم الدم من سنن النسائي ـ طبعة خاصة .

١٤ ـ بذل المجهود في شرح أحاديث الحدود – طبعة خاصة .

١٥ ـ تيسير علوم الحديث ج ١ – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات – القاهرة.

١٦ ـ الحديث المنكر – تحت الطبع .
١٧ ـ وقفات تربوية مع الصائمين – طبع دار اليقين بالمنصورة .
١٨ ـ الأضحية : فضلها وأحكامها وآدابها – طبعة خاصة .
١٩ـ الجهاد في سبيل الله طريق النصر – طبعة خاصة .
٢٠ ـ الإصلاح المنشود – طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢١ ـ شرح المنتقى من أحاديث الأحكام (الجزء الأول : العبادات)-تحت الطبع.
٢٢ ـ شرح مختارات من كتاب الجهاد من صحيح البخاري – طبعة خاصة .
٢٣ ـ التذكرة في حكم الموعظة والدعاء على المقبرة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات – القاهرة.
٢٤ ـ السمات العشر للرسول القائد القدوة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني.
٢٥ ـ السمات العشر للرسول المعلم القدوة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٦ ـ منهج الرسول القدوة في تربية جيل النصر – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٧ ـ دفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه _ طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات .
٢٨ ـ لماذا الرسول قدوتنا _ طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات.

الفهرس